Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإن كانت هذه الأبيات لا تدفع هي الأخرى عن حظ من الجمال ، وحسن التنسيق ، بما فيها من مقابلة ، واتحاد فى الأجزاء لكنها ، خلت من الدلالة على التعاقب بين المعانى المتقابلة ، مما يظهر فى أبيات القضاعى ، وخطبة قطرى ، فى كلمة « بينا » وعبارة « لم يمس .. إلا أصبح » فهى تبعث فى النفس تخيلا ، قوى الأثر ، عظيم الوقع ، فى مبلغ دلالته على السرعة فى الانتقال من حال إلى حال . وكذلك تتبع الشيخ باقى الأنواع التى ذكرها فى هذا الفصل . والتى جعلها الغاية التى لا مطمع وراءها لشاعر او ناثر .

وهذان لونان من النظم الفاخر ، والبلاغة الساحرة . أحدهما ما توخيت فيه معانى النحو وأسراره ، والثانى ماجمع إلى توخى معانى النحو ، حظا من براعة التصوير ،وتناسق التعبير ، ودقة الصنع ، واتحاد الوضع ، وكون جمله تؤلف وحدة متشابكة ، وعبارة منتظمة الشكل متماسكة .

وهناك لون ثالث ، لم ينل شرف واحد من الجنسين السابقين . فلم يحو كثيرا من التصرف البارع فى معانى النحو وخصائصه ، وان كان لم يخل من جملة منه ، ولم يحز شيئا من دقة الصنع ، واتحاد الوضع ، من نحو ما جاء فى المزاوجة وما إليها . قال الشيخ فى هذا الجنس : « وأعلم ان من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته إن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم ، بل ترى سبيله فى ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد إلى لآل فخرطها على بعض . لايريد فى نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة معنى لا يحتاج ان تصنع فيه شيئا . غير أن تعطف لفظا على مثله – كقول الجاحظ : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ، وبين الصدق سببا ، وحبب إليك التثبت ، وزين فى عينك الإنصاف ، واذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل اليأس ، وعرفك ما فى الباطل من الذلة ، وما فى الجهل من القلة .. فما كان من هذا وشبهه ، لم يجب به فضل إذا وجب إلا بمعناه أو بمتون ألفاظه ، أو ذوق نظمه وتأليفه ، ذلك أنه لا فضيلة حتى ترى فى الأمر مصنعا وحتى تجد إلى التغير سبيلا[1] » .

---

(١) ص ٧٦ – ٧٧ .